بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 13-5-2011 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

((أخلاقيات الأزمات))

((الجزء الرابع))

الحمد لله..الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله.

أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فإن تقوى الله هي العدة لنا في الدنيا وفي الآخرة، وإن الله كتب العاقبة للمتقين فقال: ﴿ . .إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:49] وقال تعالى: ﴿ . .وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه:132] فإنه من فارَق التقوى فارقه التوفيق في الدنيا والآخرة.

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام:104].

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء:174-175]

وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:15-16]

قال ابن كثير في تفسيره:

(أخبر الله تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم أنه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ أي: طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة،....وينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أَبْيَن المسالك، فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجَبَ الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوَم حالة).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى)) [البخاري ومسلم].

وفي رواية: ((كرجل واحد، إن اشتكت عينُهُ اشتكى كُلُّه، وإن اشتكى رأسُهُ اشتكى كُلُّه)) [مسلم].

عنوان خطبة اليوم:

(أخلاقيات الأزمات -4-).

سبق -أيها الإخوة- أن الأزمات عادة ما تكشف المعدن الجيد للناس، ولإن كنا مدعوين دائماً للتحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن مساوئها، فنحن في الأزمات أشد حاجة لهذا التحلي والتخلي.

وعرضَت الخطب الماضية لأخلاق سبعة مهمة جداً في الأزمات، وهي:

1-عدم الهلع

2-الأمانة

3-التراحم والتعاون

4-التكافل

5-التثبُّت

6-الأمل

7-مراعاة حدود الشَّرع في الدماء والأموال والأعراض

وتعرض خطبة اليوم لخلق ثامن مهم جداً في الأزمات، ربما كان سبباً في حل الأزمة وانتهائها، وربما كان سبباً في تعقيد الأزمة واشتدادها.

✓**الخلق الثامن من أخلاق الأزمات هو: حفظ الكلمة.**

أيها الإخوة:

تعلمون أن المرء يوم القيامة يحاسَب على أقواله كما يحاسب على أعماله وأفعاله، وتعلمون أن الله عز وجل يقول: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : 18]، ولعله لا تغيب عنكم الآية الكريمة: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم:24-26].

وتريكم الأيام أن رجالاً رفعهم كلامهم الرفيع، وأن أناساً وضعهم حديثهم الوضيع، والإسلام والعقل يدعوان المرء إلى حفظ الكلمة في الأوقات كلها، وهما يدعوانك إلى حفظها في الأزمات بشكل خاص.

لأن المرء ممتحَن مختبَر في الحياة وفي الأزمات، من جملة الاختبارات التي ترفعه عند الله أو تضعه: اختبار الكلمة.

ولأهمية حفظ الكلمة في الأزمات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه ابن ماجه في السنن: ((**إياكم والفتن، فإن وقع اللسان فيها مثل وقع السيف**)).

وبين يديَّ في مسألة حفظ الكلمة في الأزمات نقاط ثلاث أحب أن أبسطها بين أيديكم لتكون الكلمة محفوظة صحيحة ناجحة، سبباً في حل الأزمة لا في تأجيجها، وسبباً في القرب من رحمة الله تعالى لا من عذابه.

●**النقطة الأولى: قول الحق.**

فالمسلم والعاقل مطلوب إليه إذا قال أن يقول الحق لا الباطل، ومطلوب منه أن يُظهر هذا الحق ويعليه، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسِّن الحَسَن ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويوهّيه.

حدث مرة أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه: اتق الله يا أمير المؤمنين. فردّ عليه آخر: تقول لأمير المؤمنين اتق الله؟! فقال عمر: دعْه فليَقلها، فإنه لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها منكم.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**ما من صدقة أحب إلى الله تعالى من قول الحق**)).

ذكروا أن عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– قال لعمرو من مهاجر: (إذا رأيتني قد مِلت عن الحق فضع يدك في تلابيبي ثم هزني، ثم قل: يا عمر، ما تصنع؟!).

يقول المؤرخون: (كان لقول الحق أثر في نجاح سياسة عمر التجديدية، وكان لبطانته أثر في شد أزره وسداد رأيه وصواب قراره).

إن قول الحق من أمانة الكلمة وحفظها في الحياة عامة، وفي الأزمات خاصة.

●**النقطة الثانية: الصدق في نقل الخبر.**

فمن أمانة الكلمة ومن حفظ الكلمة ألا تنقل من الأخبار إلا ما ثبت عندك، وأن تكون صادقاً في نقل ما ثبت، فليس كل خبر يصلك صحيحاً مطابقاً للواقع، وليس كل امرئ مأموناً على نقل الأخبار، فبعض الناس لهم عادة الزيادة في الكلام، وبعضهم له عادة الإنقاص منه، وبعضهم يضفي عليه عاطفته، وبعضهم يزيد فيه رأيه...، وقليل من الناس من يضبط ما نقل.

ذكروا في كتب الحديث عن الإمام مالك –رحمه الله– أن له إخواناً يتبارك بدعائهم لصلاحهم وخيرهم، غير أنه لا يأخذ من أحد منهم حديثاً ؛ لأنهم لا يحسنون ضبط الحديث.

فمن أمانة الكلمة ومن حفظ الكلمة في الأزمات: الصدق في نقل الخبر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**كبرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك مصدق، وأنت له كاذب**)) [أبو داود]

●**النقطة الثالثة: العدل في النقد.**

فإن كنت منتقداً أحداً فكن عادلاً موضوعياً، سواء كان النقد للأشخاص أو للمؤسسات أو لغيرها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام : 152].

وها أنا أنقل لكم أقوال بعض علماء النقد في علم الحديث –وهم يسمَّون بعلماء الجرح والتعديل– عندما ينقدون رجلاً، لتروا عدلهم وإنصافهم ولنتعلم من أحدهم.

قال الإمام الذهبي في كتابه "تذكرة الحفّاظ" في ترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة والمغازي: (والذي تقرَّر عليه العمل أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية، مع أنه يشذ بأشياء، وهو ليس بحجة في الحلال والحرام).

وقال عن الواقدي: (هو من أوعية العلم، لكنه لا يتقن الحديث).

وعندما ترجم الذهبي ليزيد بن معاوية في "سير أعلام النبلاء" قال: (له على هناته حسنة، وهي غزو القسطنطينية، وكان أمير ذلك الجيش وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه)، ثم قال: (ويزيد ممَّن لا نَسُبُّه ولا نُحِبّه، وله نظراء من خلفاء الدولتين، وكذلك في ملوك النواحي، بل فيهم من هو شر منه).

فالعدل في النقد والإنصاف في الوزن من أمانة الكلمة وحفظها في زمن الأزمات خاصة.

ولعل عالماً أو وجيهاً يقع في زلة حيال موقفه مما يجري –فيما يبدو لنا–، فلا يصح أن نهدر حسناته، وننسى تاريخه في تعليم الخلق ونفع الناس، ولنعتبرها زلة، ومَن الذي لا يخطئ؟!

وفي الحديث الصحيح ((**كُلُّ بَني آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخَطَّائينَ التَّوابونَ**)). [أخرجه الترمذي].

قال ابن تيمية: (ليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً من الخطأ والغلط، بل ولا من الذنوب).

ولعل عالماً أو وجيهاً يسكت عن الكلام ويعتزل الخلق لرأي يراه –الله أعلم به–، فلا يجوز أن نفسِّقه أو نتَّهمه في نواياه أو نعته بمساوئ الأوصاف؛ لأنه لم يفعل ما نريد أو لم يقل ما نشاء، فربك أعلم بنيته وهو مطَّلع على سره وعلانيته.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم**)) [البخاري] .

إن من حفظ الكلمة وأمانة الكلمة في الأزمات أن نقول الحق، وأن تَصدُق في نقل الخبر وأن نعدل في النقد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الرجل ليتكلّم بالكلمة من الخير يكتب الله لها عليه رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ن الشر يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه**)) [مالك].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم

والحمد لله رب العالمين

www. dr-shaal.com